تقدير وعرفان

لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى طاقم الموظفين والمتدربين في ميديا إيديوكيشن فاونديشن (مؤسسة التعليم الإعلامي) على جهودهم في إخراج هذا الكتاب في زمن قياسي. ونخص بالذكر كلاً من آندريا وزني و شارا دُن اللتين عملتا بجد وتفان على مدى الأشهر الثمانية الماضية في طباعة وإخراج هذه المقابلات. كما ونعبر عن امتناننا لكل من لِين كوملا و فيفيكا غرين و رونِت ريدبيرغ و إيركا سيلفا و آندرو كيلوي على جهودهم في تحرير وتدقيق مخطوطة هذا الكتاب في وقت قياسي. كما ونخص بالشكر وجميل العرفان الأشخاص الذين أجريت معهم هذه المقابلات على ما حبونا به من أوقاتهم وخبراتهم.

✽ ✽

obeikandi.com

obeikandl.com

تقديم

بقلم هاوَرْد زِن(*)

هناك، حقاً، مخاوف تقوم على أسباب معقولة. ولكن هناك أيضاً أوضاع، هي في العادة من صنع الحكومات، تُستثار بها الشعوب إلى عنف يخرج عن نطاق السيطرة ويتخذ أشكالاً متنوعة-من السحل، إلى الحروب، إلى أعمال الإبادة الجماعية- كل هذا يحدث عن طريق استغلال الخوف غير المعقول، واستخدامه في التلاعب بمشاعر الناس وأفكارهم.

ويزخر التاريخ بأعمال الإبادة الجماعية التي ارتُكِبت في أجواء من الخوف الذي صُنِعَ لتحقيق غايات سياسية. من ذلك: شن الحروب الصليبية ضد "الكفار"؛ ومذابح الأتراك ضد الأرمن عام 1915؛ والهجوم على اليهود والشيوعيين في ألمانيا إثر إحراق مبنى البرلمان الألماني (رايشتاغ) عام 1933م.

كما كانت أعمال ملاحقة ومطاردة المعارضين للكنيسة في نيوإنغلاند(*) مبنية على فظائع غامضة وغير مرئية، شكلت عاملاً مهماً في تعزيز سلطة رجال الدين من طائفة البيورتانز(*). كما أدت المخاوف المتبادلة بين السكان البيض

(*) روعي في ترجمة الأسماء الإنجليزية تمثيل طريقة لفظها بالأحرف العربية والاستعاضة عن أحرف العلة ذات الصوت القصير بعلامات الشكل (الضمة والفتحة والكسرة) لكي تكون كتابة الاسم أقرب إلى طريقة لفظه في اللغة الإنجليزية مع إسقاط الحروف التي لا تلفظ.

(*) تطلق هذه التسمية على المنطقة الواقعة شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية وتضم ولايات مين، ونيوهامبشير، وفيرمونت، وماسيتشيوستس، و رود آيلاند، وكنكتيكت (و تلفظ: كنا كي تكّت).

(*) طائفة مسيحية متشددة انفصلت عن الكنيسة الانجليزية وهاجرت إلى أمريكا فراراً من الاضطهاد الديني في بريطانيا واستقرت في منطقة نيو إنغلاند من العالم الجديد، وكان لرجال الدين في تلك الكنيسة سلطة على المجتمع المحلي.

obeikandi.com

والهنود الحمر، الحقيقية منها والمفتعلة، إلى ارتكاب مذابح شنيعة من كلا الطرفين.

وبُعَيد حرب الاستقلال الأمريكية ضد بريطانيا، استَخدمت الدولة الفتية في عهد الرئيس جون آدمز المخاوف المتنامية من الثوريين والأجانب من أجل تمرير **قانون الأجانب والفتنة**، والذي كان من نتائجه المباشرة تقييد حرية التعبير، والسماح بالترحيل التعسفي للمهاجرين الذين لا يحملون الجنسية الأمريكية.

وتلجأ الدول في كثير من الأحيان، إلى تحويل زعماء دول أخرى إلى رموز لتخويف المواطنين من أجل دعم حرب ما. ففي عام 1917، وفي الولايات المتحدة، استُخدم القيصر الألماني رمزاً من هذا القبيل، وتعزز ذلك بالمخاوف التي برزت نتيجة قيام الغواصات الألمانية بإغراق السفن الأمريكية، الأمر الذي سهل عملية تجنيد وتعبئة الشعب الأمريكي للحرب، وسجن كل من تسوّل له نفسه المجاهرة بمعارضتها.

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى، استخدم الكشف عن وجود قنبلة في منزل المدعي العام الفدرالي(*) بالمر في تسويغ اعتقال وترحيل آلاف من الذين لا يحملون الجنسية الأمريكية.

وغالباً ما تستخدم الأحداث المأساوية في خلق جو من الخوف تصبح الحرب في ظله أمراً مقبولاً، وتعطل فيه الحقوق الدستورية. فمثلاً، أدى تفجير البارجة الأمريكية (مين) عام 1898 في خليج هافانا، والذي أودى بحياة مئات

(*) يطلق عليه في بعض الترجمات وزير العدل، وهذه التسمية الأخيرة أقرب إلى الوصف الوظيفي لعمله، مع العلم أن نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية يستخدم أوصافاً وتسميات تختلف عما هو شائع في الدول الأخرى كاستخدام كلمة سكرتير بدلاً من وزير، وكلمة إدارة بدلاً من حكومة، ودائرة بدلاً من وزارة... إلخ. ولا عبرة باختلاف المسميات ما دامت مدلولاتها واحدة.

من البحارة الأمريكان، إلى احتلال كوبا مباشرة خلال الحرب الإسبانية – الأمريكية. وفي الحرب العالمية الثانية، كانت الهجمات المباغتة على ميناء بيرل هاربر فرصة سانحة لبث الذعر والخوف من أعمال تخريب يابانية محتملة بل وربما احتلال ياباني للولايات المتحدة، مما أدى إلى اعتقال قرابة مائة ألف من المواطنين الأمريكان المنحدرين من أصل ياباني ووضعهم في معسكرات اعتقال جماعية.

وبعد بضع سنوات من انتهاء الحرب العالمية الثانية، ظهر أكبر حدث كارثي مخيف وهو الكشف عام 1949 عن نجاح الاتحاد السوفييتي في بناء وتجربة أول قنبلة نوويه خاصة به. وكان ذلك مؤذناً بزيادة التوتر في "الحرب الباردة" إلى أعلى مستوياته. وترتب عليه انتشار الخوف الهستيري من الاتحاد السوفييتي بشكل سريع في طول البلاد وعرضها بتشجيع من الحكومة ووسائل الإعلام.

وفي ذلك المناخ بالتحديد، جرى إخضاع الأطفال في جميع مدارس الولايات المتحدة إلى تمرينات حول كيفية الاختباء تحت مقاعدهم لحماية أنفسهم من تأثيرات الهجمات النووية السوفييتية المحتملة. وكانت تلك هي حقبة "المكارثية"(*) التي أنشأت فيها لجنة تقصي النشاطات المعادية لأمريكا ما يشبه محاكم التفتيش ضد الأكاديميين والشخصيات البارزة في عالم الفن.

وفي تلك الفترة، جرى إعدام إيثل وجوليوس روزينبيرغ(*) بواسطة الكرسي الكهربائي، وتم إدراج ملايين من المواطنين الأمريكان في قوائم المشتبه فيهم بالانتماء إلى الشيوعية، أو بدعم وتأييد القضايا المتطرفة، وكان ينظر إلى

(*) نسبة إلى عضو مجلس الشيوخ جوزيف مكارثي الذي اشتهر بأسلوبه القمعي والتعسفي وغير المهادن في تعقب كل من يشتبه بانتمائه أو تعاونه مع الشيوعية (1950–1954).

(*) مواطنان أمريكيان أعدما عام 1953 بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفييتي بتقديم معلومات سرية حول الأسلحة النووية الأمريكية.

أي ثورة في أي دولة من دول العالم الثالث على أنها جزء من مؤامرة شيوعية عالمية.

لقد مكّن خلق "الرعب الأحمر" الحكومة من تخصيص ميزانيات عسكرية ضخمة وتكديس الأسلحة النووية إلى حدود تتجاوز بكثير حدود "الردع". وكان يصدر بين الحين والآخر إنذارات منتظمة مؤسسة على ادعاءات كاذبة حول "الفجوة في قاذفات القنابل" والتي زُعم فيها أن الاتحاد السوفييتي كان يملك أعداداً من قاذفات القنابل أكبر بكثير مما هو موجود لدى المعسكر الغربي، ثم تبع تلك الدعاية زعم آخر هو "الفجوة الصاروخية".

في حين أن التقارير الداخلية الصادرة عن أجهزة الاستخبارات الأمريكية كانت تشير إلى أن الحشد العسكري السوفييتي كان يتخلف عن الحشد الأمريكي بأشواط بعيدة. إلا أن هذه التقارير تم تجاهلها لأن التخويف كان يخدم أهداف السياسية الخارجية العدوانية وتجمع صناعات الأسلحة التي كانت تسعى إلى تحقيق مزيد من المكاسب المادية.

واليوم، تلعب المخاوف من "الإرهاب" الدور نفسه الذي لعبه الخوف من "الشيوعية" خلال الحرب الباردة. ومع أن الجائحة التي حلت بنا في الحادي عشر من سبتمبر كانت حقيقية كتفجير البارجة "مين"، أو إحراق مبنى البرلمان الألماني رايشتاغ، أو وجود الاتحاد السوفييتي. إلا أنها استخدمت، كما في الأمثلة المذكورة، في خلق هستيريا لا تقوم على أسباب معقولة لتسويغ سياسات حكومية تمتد جذورها إلى ما هو أبعد من تاريخ الأمة: سياسات توسعية، وتدخّل عسكري، وقمع للمعارضة.

وتمثلت هذه السياسات في العصر الحاضر في تدمير واحتلال أفغانستان والعراق، وإنشاء المزيد من القواعد العسكرية في الشرق الأوسط. وزيادات

ضخمة في الميزانية العسكرية، ومحاولات لتقويض حرية التعبير وتعطيل الضمانات والحقوق الدستورية.

وسيجد القارئ في الصفحات التالية سلسلة من التأملات العميقة والمدهشة حول هذه القضية: وهي العلاقة بين الحادي عشر من سبتمبر وتوسيع الإمبراطورية الأمريكية.

✾ ✾

obeikandl.com

obeikandl.com

توطئة

بقلم: جيرمي إيرب وسُت جالي

في الوقت الذي تبين فيه عدم صحة الأسباب التي قدمتها الحكومة لشن الحرب على العراق- فقد تبين عدم وجود أسلحة دمار شامل في العراق، وأنه لا يشكل خطراً داهماً على الولايات المتحدة، وعدم وجود علاقة للعراق بأحداث 11 سبتمبر- نجد أن مناقشات وسائل الإعلام السائدة اقتصرت على قضايا الاستخبارات وفشل أجهزة الاستخبارات. ولم تول هذه الأجهزة سوى قليل من الاهتمام إلى ما ذكره عدد كبير من الخبراء حول السبب الحقيقي وراء تلك الحرب واحتلال العراق: السيطرة على الموارد المتضائلة، واستعراض القوة العسكرية الأمريكية بطريقة استفزازية، والفلسفة المتطرفة للمحافظين الجدد التي تدعو علناً إلى تمجيد مزايا هذا التوجه المتسارع والجديد نحو ترسيخ الإمبراطورية الأمريكية.

تم إجراء المقابلات المتضمنة في هذا الكتاب لصالح فيلم وثائقي (بنفس العنوان:اختطاف كارثة: الخوف والترويج للإمبراطورية الأمريكية) يعالج جذور المحافظين الجدد والآثار السياسية لطريقة تعامل إدارة بوش مع هجمات 11 سبتمبر. وقد وضع المطلعون على خفايا هذه الإدارة وأكثر من عشرين محللاً سياسياً بارزاً ظهور ما يطلق عليه "مذهب بوش" والحرب على العراق في سياق سعي المحافظين الجدد الذي استمر على مدى عقدين من الزمان إلى زيادات مغالية في النفقات العسكرية وإعادة تشكيل العالم في حقبة ما بعد الحرب

الباردة باستخدام القوة العسكرية. وهدفنا من نشر محتوى ذاك الفيلم في كتاب هو الهدف ذاته الذي أنتجنا من أجله الفيلم، وهو وضع تحليل للأفكار والدوافع التي تقف وراء السياسية الخارجية الأمريكية في هذا المنعطف الحرج من التاريخ الأمريكي.

وهذه المقابلات، إذا ما نظرنا إليها بشكل شمولي، فإنها توضح ثلاثة محاور أساسية: الأسباب الحقيقية لقيام إدارة بوش بشن حرب على العراق؛ الأسلوب الذي روجت فيه الحكومة الحرب أمام الشعب الأمريكي؛ العواقب المحلية والدولية للتحوّل المفاجئ للسياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر.

وركز عدد من المقابلات على الخطورة الإستراتيجية التي وضعها صقور السياسية الخارجية من المحافظين الجدد بعد الحرب الباردة للتخلص من التوافق في الرأي الذي كان سائداً حول الدور الأمريكي في العالم، وذلك عن طريق الدعوة إلى زيادة حادة في النفقات العسكرية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي. وتمثل حلم المحافظين الجدد بإظهار وتوسيع الهيمنة العسكرية الأمريكية بدون منازع في القرن الحادي والعشرين. واحتوت الخطط الإستراتيجية للدفاع التي وضعت بداية أعوام التسعينيات على يد بول ولفوويتس وريتشارد بيرل ودك تشيني وغيرهم من المرتبطين بمعاهد الفكر التابعة للمحافظين الجدد كمنظمة "**مشروع القرن الأمريكي الجديد**"، احتوت على حقيقتين تاريخيتين تم تجاهلهما تماماً في هذا المناخ السياسي المشحون: الأولى: أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر كانت متطابقة تماماً مع الذريعة التي ذكرت تلك الخطط أنها ضرورية من أجل تسويغ الحشد العسكري الجديد الذي دعت إليه؛ وثانياً: أن خطط شن الحرب على العراق وتعزيز القواعد الأمريكية في الشرق الأوسط كانت موضوعة قبل ظهور ذريعة الحادي عشر من سبتمبر. وجاءت الكارثة المنتظرة كما تنبأت بها الخطط التي وضعتها منظمة **مشروع**

obeikandl.com

القرن الأمريكي الجديد في سبتمبر من عام 2000، أي قبل سنة كاملة من سماع معظم الشعب الأمريكي بأسامة بن لادن، حيث ورد في تلك الورقة الإستراتيجية ما نصه: "..إن عملية التحول هذه(*)، حتى وإن جلبت تغيرات جذرية، فإن من المرجح أن تتطلب وقتاً طويلاً ما لم يقع حادث مأساوي فظيع - مثل بيرل هاربر جديدة".

وأثناء عملية معاينة الطريقة التي تسللت من خلالها هذه الأجندة المتطرفة إلى مراتب التوجهات السائدة للحكومة دون أي نقاش عام، فإن عدداً من هذه المقابلات انتقلت من وصف السياسة إلى وصف المناورات والحيل السياسية للكشف عن كيفية استخدام الحكومة لوسائل الإعلام الدارجة من أجل تسويغ الحرب على العراق في غمرة الصدمة العاطفية لأحداث 11 سبتمبر. ومن النقاط المحورية في هذه المعاينة قيام وسائل الإعلام بإحلال صدام حسين محل أسامة بن لادن في الخطابات والبيانات السياسية لحكومة بوش كرمز للحرب على الإرهاب؛ وإقناع المواطن الأمريكي العادي بالتزام الصمت في الوقت الذي تتلاشى فيه الحقوق والحريات المدنية داخل الولايات المتحدة، وتتنامى فيه الإمبراطورية الأمريكية حول العالم.

وإلى جانب هذه المعاينة القريبة لكيفية استغلال إدارة بوش التخويف والتوتر في أعقاب 11 سبتمبر من أجل حشد التأييد الشعبي لبرامج المحافظين الجدد المثيرة للجدل تحت قناع "الحرب على الإرهاب"، قمنا أيضاً بالتركيز على محاولات الحكومة الأمريكية تشتيت الانتباه بعيداً عن جوهر سياساتها عن طريق استغلال المخزون التخيلي لأنماط بدائية للرجولة في الأسطورة الأمريكية- وهو مخزون له جذور عميقة في الخيال الأمريكي وروابط متينة بالمفاهيم العامة للقومية والوطنية. ومن بين المسائل التي تكرر ظهورها في هذا

(*) أي التحول في السياسة الخارجية الذي تدعو إليه هذه الدراسة.

الكتاب مسألة تأثير المخاوف - التي يمكن تفهمها- والتي تكونت عقب 11 سبتمبر في تغذية القوة الثقافية لهذا النهج على نحو أدى إلى إغلاق الباب أمام التفكير المنطقي والعقلاني والحوار والنقاش، وتلفيق الإجماع العام حول سياسات مضرة بالمصالح العامة.

وانتقلت رؤية المحافظين الجدد لإمبراطورية أمريكية من حيّز معاهد فكر اليمين المتطرف إلى أروقة البيت الأبيض لتشكل "مذهب بوش" في الحرب الوقائية وإستراتيجيات الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن الحوار والنقاش حول الحكمة والمصلحة المرجوّة من هذه الرؤية لم يجد له مكاناً في وسائل الإعلام السائدة. ويبقى مصطلح "الإمبراطورية" مفهوماً مبهماً وغامضاً ودون معنى لدى غالبية أفراد الشعب الأمريكي. ومن هنا جاءت هذه المقابلات المتضمنة في هذا الكتاب لتجلية وتوضيح طبيعة الإمبراطورية وتأثيراتها اليومية: اعتمادها على الحرب المتواصلة دون نهاية؛ وتقويض الديمقراطية والحقوق المدنية باسم الأمن والحماية؛ وارتفاع وتيرة السرّية في النشاط الحكومي، والتضليل الإعلامي، وتمجيد الحرب والتسليح؛ وهدم ما تبقى من دولة الرفاه نتيجة ارتفاع نفقات مجهود الحرب، بينما تتحمل الطبقة الأكثر فقراً في المجتمع الأمريكي وطأة هذه السياسات؛ وتفجّر العجز في الموازنة والمديونية نتيجة تمويل الزيادة الحادة في نفقات الدفاع والمغامرات العسكرية في الخارج؛ وتعاظم الخسائر في الأرواح البشرية نتيجة لموت الشباب والشابات الذين يخدمون في الجيش بعد استدعائهم للقتال في قضايا جوفاء لخدمة أجندة تفتقر إلى التمحيص والنقاش العام حولها. وتبرز أهمية هذا التمحيص مع بدء الاستعدادات لدخول الانتخابات الرئاسية لعام 2004. وهو حدث جسيم في هذا المنعطف المصيري من التاريخ الأمريكي.

obeikandi.com